

سبب إفراد العم والخال

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الكريم المفضل أبو عبد الرحمن \_حفظكم الله ورعاكم\_  
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الشيخ الفاضل: بعد البحث في مسألة استخدام المفرد ثم الجمع في قول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحَلَّلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكِ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ) الآية (٥٠) سورة الأحزاب.

وجدت في المسألة آراء كثيرة للمفسرين المتقدمين والمتأخرين والمعاصرين فمن أقوال المتقدمين كلام أبي بكر ابن العربي في ((أحكام القرآن)): (قوله: {وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ} فَذَكَرَهُ مُفْرَدًا. وَقَالَ: {وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ} فَذَكَرَهُنَّ جَمِيعًا. وَكَذَلِكَ قَالَ: وَبَنَاتِ خَالَكِ مُفْرَدًا وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ جَمْعًا. وَالْحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْعَمَّ وَالْخَالَ فِي الْإِطْلَاقِ اسْمُ جِنْسٍ كَالشَّاعِرِ وَالرَّاجِزِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ فِي الْعَمَّةِ وَالْخَالَةِ. وَهَذَا عُرِفَ لِعَوِيِّ؛ فَجَاءَ الْكَلَامُ عَلَيْهِ بِعَايَةِ الْبَيَانِ لِرَفْعِ الْإِشْكَالِ؛ وَهَذَا دَقِيقٌ فَتَأَمَّلُوهُ).

ومن كلام المعاصرين حول المسألة قول الدكتور فاضل السامرائي في كتابه (لمسات بيانية): ((الرسول صلى الله عليه وسلم له خالات وله خال واحد. يذكر من خالاته فريضة بنت وهب، ويذكرون خالة اسمها فاخنة، وله خال واحد، وهناك سؤال آخر عن العم والعمات في قوله تعالى (وبنات عمك وبنات عماتك) الرسول صلى الله عليه وسلم له عمات وبناتهم متزوجات، وله أعمام كثيرون بناتهم متزوجات، لكنه قال (وبنات عمك) وبنات عمك). ذكروا من أعمام الرسول صلى الله عليه وسلم العباس وحمزة، وعندهم بنات غير متزوجات، لكن هؤلاء (العباس وحمزة) إخوان الرسول صلى الله عليه وسلم من الرضاة، فإذن لا تحل للرسول صلى الله عليه وسلم بناتهم وذكروا أبو طالب عنده أم هانئ فيكون له عم واحد فقط له ابنة والباقي متزوجات)).

قال السابيس في (تفسير آيات الأحكام): ((قالوا في الحكمة في إفراد العم والخال وجمع العممة والخالة كلاما كثيرا، بل إن من العلماء [١] من ألف في ذلك كتابا برأسه. فمنهم من زعم أن العم والخال لم يجمعا لوقوعهما على وزن المصدر، وهو لا يجمع. وقيل: بل إن عدم الجمع في العم والخال جاء على الأصل من إرادة العموم عند الإضافة، وأما العممة والخالة وإن كانتا مضافين فجمعا لمكان تاء الوحدة فيهما، وهي تأبى العموم في الظاهر وجمع الكل في سورة النور في قوله تعالى: أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ [النور: ٦١] لا يسأل عن علته، لمجيئه على الأصل في نسق واحد. ويرى بعضهم أن الخطاب لما كان للنبي صلى الله عليه وسلم، ولم يكن له إلا عم واحد تحل بناته له، وهو أبو طالب، أما حمزة والعباس فقد كانا أخويه من الرضاة، فقد أفرد العم من أجل ذلك، وجمعت العمات لأنهن كثيرات.

ويرى البعض أن الذي جرى هنا من الإفراد في العم جرى على نحو مألوف العرب، فإنك لا تكاد تجد في كلام العرب العم مضافا إليه الابن أو البنت مفردين أو مجموعين إلا مفردا، كما قيل:

إن بني عمك فيهم رماح. وكما قيل: قالت بنات العم يا سلمى.

وجاء الكلام في الخال والخالة على مثاله، وفي هذا القدر كفاية).

قال الإمام تقي الدين السبكي في فتاويه([٢]): ((سئلت عن إفراد العم وجمع العممة في قوله تعالى (وبنات عمك وبنات عماتك) وكنت قد سمعت فيه شيئا، فخطر لي شيء لم أسمعه، فأردت أن أكتبه لينظر فيه، وسميته (بذل المهمة في إفراد العم وجمع العممة)....إنما يكون قصد بإفراد العم الأدب مع العباس حتى لا يذكر معه غيره، والقرآن بحر لا ساحل له مع ما فيه من مراعاة النظم في اللفظ والمعنى فيه من الأداب ما تعجز العقول عنه... وإنما أسلم من عماته صفية وأروى وعاتكة، وكان يكون ذلك غضاضة على صفية رضي الله عنها وبناتها، فكان في جمعهن أدب مع صفية كما كان في إفراد العم أدب مع العباس، فانظر عجائب القرآن وآدابه ودقائق لطائفه التي لا تنتاهي... وإنما الكلام تارة ينظر إلى معناه وتارة ينظر إلى لفظه وإفراده... هذا الوجه شيء خطر لي، فإن كان مقصودا بذلك فضل من الله فتح به علي من الفهم الذي يؤتاه الله في كتابه لمن يشاء من عباده وإن لم يكن فأنا أسأل الله عفوه ومغفرته عني من الكلام في كتابه بغير علم)).

والذي أميل إليه أن الأمر عُرفَ لغويّ جرت عليه العرب في الأفراد والجمع، وجاء به القرآن، والله أعلم بأسرار كتابه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أحمد إبراهيم المحمد في صباح الجمعة الكويت ٢٤ رمضان ١٤٣١هـ/٩/٣/٢٠١٠

---

([١]) هو الإمام تقي الدين السبكي رحمه الله صنف جزءاً في ذلك سماه (بذل المهمة في أفراد العم وجمع العمّة).

([٢]) فتاوى السبكي - (ج ١ / ص ٨٧ وما بعد).